دراسة

كـــل معـــروف صـــدقـــة

العلوي كمال مولاي الطيب

لغة:

معروف : «عرفته عرفة و عرفانا علمته بحاسة من الحواس الخمس و أمر عارف وعريف أي معروف و أمرت بالعرف أي بالمعروف و هو الخير و الرفق و الإحسان ومنه قولهم : من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف، أي من أمر بالخير فليأمر برفق و قدر يحتاج إليه».

صدقة : « تصدقت على الفقراء، و الاسم الصدقة و الجمع صدقات وتصدقت بكذا أعطيته صدقة و الفاعل متصدق، قال ابن قتيبة: و مما تضعه العامة غير موضعه قولهم: هو يتصدق إذا سأل و ذلك غلط إنما المتصدق المعطي و في التنزيل « وتصدق علينا» وأما المصدق بتخفيف الصاد فهو الذي يأخذ صدقات النعم «.

اصطلاحا:

معروف: «المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، وهو خلاف المنكر، و قال الراغب، هو كل فعل يعرف حسنه بالشرع و العقل معا، و قال ابن أبي جمرة: ما عرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البر سواء جرت به العادة أم لا، وقال الشوكاني: « ما كان من الأمور المعروفة في الشرع لا المعروفة في العقل أو العادة «.

صدقة : « ما يعطى على وجه القربى لله تعالى و الجمع صدقات، والصدقة تعم صدقة التطوع و صدقة الفرض التي هي الزكاة، و الصدقة الجارية هي الوقف. وعند المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة والإباضية هي العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله تعالى، وعند الجعفرية هي التطوع بتمليك العين بغير عوض، وهي المال الذي وهب لأجل الثواب».

معنى الكلية:

تدل هذه الكلية على أن أي فعل حسن قام به المكلف اتجاه آخر بحسن نية وعدم انتظار جزاء أو شكر فهو صدقة عليه . فأعمال البر إذن كلها صدقات لأصحابها والإمساك عن أعمال الشر كذلك، فجل ما يقوم به الإنسان في يومه قد يكون صدقة عليه وهو لا يعلم لقصر الناس الصدقة على ما كان ماديا. فالكلمة الطيبة و المعاملة الحسنة وإعانة المحتاج و نصرة المظلوم، وحتى الابتسامة في وجه الناس صدقة. قال ابن بطال: « وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به القلب الذي يعطاه ويذهب ما في قلبه، كذلك الكلام الطيب فاشتبها من هذه الحيثية».

حجية الكلية:

أدلة الكلية كثيرة جدا أذكر منها ما يلي:

. من الكتاب : قال تعالى: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ× وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)الزلزلة٧-٨. و قال سبحانه : (إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) البقرة٢٧١. وقال عز وجل: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)البقرة١٧٧. و قال تعالى: (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً)النساء١٢٧. و قال عز وجل : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)آل عمران١٣٤. و قال تعالى : (لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) النساء١١٤.

من السنة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له». و قال عليه السلام : « الصدقة على المسكين صدقة و على ذي الرحم ثنتان صدقة و صلة». و قال أيضا: « الضيافة ثلاثة أيام و جائزته يوم و ليلة، و ما أنفق بعد ذلك فهو صدقة و لا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه». و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» من كظم غيظا و هو يقدر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء». و قال عليه السلام: « المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، و من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، و من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة». قال ابن حجر: « وقوله: و لا يسلمه: أي لا يتركه مع من يؤذيه و لا فيما يؤذيه بل ينصره و يدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجبا وقد يكون مندوبا بحسب اختلاف الأحوال». و قال أيضا وفي الحديث حض على التعاون و حسن التعاشر و الألفة، و فيه أن المجازاة تقع من جنس الطاعات.

و قال صلى الله عليه وسلم :» من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يؤذ جاره، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه». و قال عليه السلام: « الكلمة الطيبة صدقة «. و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فيأمر بالخير أو قال: بالمعروف. قال: فإن لم يفعل؟ قال: فيمسك عن الشر فإنه له صدقة «.

من فروع الكلية:

المستقذر شرعا كالمستقذر حسا: كمن وهب لشخص هبة على سبيل المعروف وطلب ثواب الله تعالى، و بعد مدة نشب صراع بينهما فأراد الواهب استعادة ما وهب، فهذا غير جائز لتشبيهه عليه السلام الرجوع في الهبة برجوع الكلب في قيئه.

لا ثواب إلا بالنية: كمن أراد تقديم هدية لمسكين معدم دون انتظار أجر عليه أو تقديم عمل مقابلها، فهذا عمل جليل و معروف أسدي من موسر لمعسر، فكانت هذه الهدية صدقة على المهدي و يؤجر عليها إن شاء الله لحسن نيته و لطلبه بهديته الأجر الأخروي.

من أدى دين غيره بدون إذنه فهو متبرع لا رجوع له: كمن علم بأن جاره غبن في تجارة فكثر دينه و سيباع عليه متاعه لتسديد حق الغارمين، فأدى ما على جاره من دين دون أن يعلم ذلك المغبون، فهذا عمل خيري ومعروف قدمه الجار لجاره فاعتبر صدقة له لأنه يعلم أن ما أنفق لن يسترده لأنه تصرف من نفسه دون طلب من المدين.

الأمور بمقاصدها: كمن أعطى هدية لشخص معين، فثواب هديته ينطلق من المقصد الذي من أجله أعطى الهدية، فمن أعطاها ليؤكل حق مسلم أو يغصب ماله فهي سحت، ملعون الآخذ و المعطي. و أما إن أعطاها على سبيل المعروف و التيسير على المسلم فهي صدقة عليه، فبالمقصد تصير الهبة طاعة أو معصية.

ما حرم أخذه حرم إعطاؤه: كمن أراد أن يهدي هدية إلى آخر أو يوصي له بوصية بعد موته، فأهداه أو أوصى له بجرار خمر أو عدد من الخنازير، فهذه الهبة أو الوصية غير جائزة لكون المعقود عليه محرم الانتفاع به شرعا، و بالمقصود من هذه الهبة أو الوصية لن يؤجر عليها و لن تعتبر صدقة بل سيأثم بها و عليه وزرها.

من مقاصد الكلية:

من مقاصد الكلية الحث على فعل الخير و طلب الثواب من الله تعالى سواء كان هذا الخير أو المعروف قولا أو فعلا، لأن الأهم هو إخلاص النية لله سبحانه و تعالى، فكما جاء في الحديث أن مجرد الكلمة الطيبة صدقة، ساوت الكلمة الطيبة الفعل الحسن، و لا يخفى أن طيب اللسان يكون بطيب العمل. فمن اجتمع فيه الاثنان فقد تخلق بخلق المسلم الصحيح. فعمل الإنسان إجمالا يعتبر صدقة له ما دام المقصود منه شرعيا، و ما دامت النية التي عمل بها لا تحيد عن النهج الإسلامي.

من تطبيقات الكلية:

من أحسن معاملة جاره و أبعد عنه بوائقه كان عمله هذا صدقة لأن الرسول عليه السلام اعتبر الإمساك عن الشر صدقة. و قد شنع عليه السلام على الذي يؤذي جاره و لا يتناهى عن إلحاق الضرر به. « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المسلمين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه و يده». فهذا الحديث قمة في لزوم تخلق المسلم بحميد الصفات التي تفك رقبته من جهنم وتقربه إلى الجنة أكثر، لأن بطش اليد واللسان يقذف بالإنسان في جهنم و إن صغر حجم العضو. وقد أشاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلم الذي يصبر على أذى الناس و لا يعاملهم بمثل تجنيهم عليه بقوله :» المسلم إذا كان مخالطا الناس و يصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس و لا يصبر على أذاهم «. فالابتعاد عن الإذاية صدقة و الصبر على الإذاية صدقة. من أعار شخصا آخر ما يحتاج إليه لسد خلته أو قضاء مآربه من متاع أو آلة أو دابة فقد أجر أجرا حسنا و كتبت له صدقة لتقديمه لهذا المعروف ، و قد فسر المفسرون قوله تعالى:» و يمنعون الماعون» بأنه متاع البيت وعارية الأمتعة. قال ابن كثير في تفسير الآية :» أي لا أحسنوا عبادة ربهم و لا أحسنوا إلى خلقه حتى و لو بإعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه و رجوعه إليهم «.

من أهدى شخصا هدية و هو يريد بها وجه الله سبحانه و تعالى فهي صدقة له إلا أن تكون نيته و مقصده من ورائها إهدار نفس أو استباحة مال مسلم بغير حق فتصبح حينئذ وزرا عليه. و قد ندب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الهدية لما لها من جميل الوقع في نفس المهدى له. قال عليه السلام:» تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر ولا تحقرن جارة لجارتها و لو شق فرسن شاة «.

من أوصى قبل مماته لشخص موسر أو معسر بجزء من ماله فهو صدقة عليه لأنه أراد بوصيته إنقاذ مهجة أو تفريج كربة أو تقديم مساعدة، إلا أن تكون الوصية يراد بها غير وجه الله تعالى، كأن تكون مقابل الزنا بامرأة أو غصب أرض أو أكل مال مسلم مستضعف بغير حق، فهي وزر على الموصي والموصى له لاقترافهما الحرام، ولاستغلال ما أحل الله فيما حرمه.

من أعطى هبة لمسلم مستضعف أو أدى عنه دينه الذي كان سيسجن فيه أو يباع متاعه لتسديده، فما أعطى أو أدى صدقة عليه لأنه أراد بها وجه الله تعالى، و إغاثة المسلم للمسلم واجبة لكون الناس إخوة و إن اختلفت درجات يسرهم و عسرهم لتساويهم في نظر الشرع. و الأفضل عند الشارع الأكثر تقوى. قال تعالى: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير».

حث الرسول صلى الله عليه وسلم عن إحسان المرء معاملة جاره، و خير المعاملة للجار الكلمة الطيبة و إفشاء السلام، فهذه صدقة على صاحبها و معروف أسداه إلى جاره و إن كان يبدو بسيطا جدا و لا يرتقي لأن يكون صدقة، و لكن الشارع أبى إلا أن يجعل للمسلم في كل صغيرة أو كبيرة أجرا. فجعل الكلمة الطيبة أبسط معروف، كما جعل تغيير المنكر بالقلب أضعف الإيمان.

من مستثنيات الكلية:

الهبة مع الخطر لا تصح: كمن أضاع مالا و غلب في العثور عليه فيلحقه بمن وجده على سبيل الهبة أو الصدقة، فهذا لا يجوز لأنه لم يقدم هذا المال عن طيب خاطر منه وإنما قدمه بعد انقطاع رجاء الحصول عليه، فلو كان عثر عليه لما وهبه أو صدقه.

من أعطى هدية لشخص على أن يستغل بها نفوذه في إحلال حرام أو غصب مال أو قطع رحم فهذا لا يعتبر معروفا و إن كان المهدى له محتاجا معوزا، و لا يؤجر على هديته لكونه سعى بها إلى ما حرم الله، و لكونه لم يقم بالعمل لوجه الله تعالى و إنما كان الهدف من ورائه إرضاء نزوة شخصية لا تستحق إلا بهذه الهدية، فهديته في هذا الباب رشوة و سحت ملعون آخذها ومعطيها.

نماذج سلوكية

د. يوسف عثمان محمد

عطاء بن أبي رباح

اسمه : عطاء بن أبي رباح الفهري مولاهم ، واسم أبي رباح أسلم.

كنيته : أبو محمد

ميلاده : قال ابن كثير في البداية والنهاية : مات سنة ١١٤ هجرية وعاش ١٠٠ سنة ، فيكون قد ولد سنة ١٤ هجرية.

صفته : أسود ، أفطس ، أشل ، أعرج ، ثم عمي في آخر عمره ،

شيوخه :شهد ٢٠٠ من الصحابة ، وسمع من كثير منهم مثل ابن عمر ، وابن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، وأبي هريرة ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبي سعيد ، وابن عباس . وقد خلف بن عباس على حلقته بالمسجد الحرام .

قال يعلي بن عبيد : دخلنا على محمد بن سوقة فقال : ألا أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم ، فإنه نفعني ، قال لي عطاء بن أبي رباح : يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام إثماً ، ما عدا كتاب الله أن يقرأ ، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر ، أو ينطق العبد بحاجته في معيشته التي لا بد له منها ، أتنكرون « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ (١١) « سورة الانفطار ، أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره فرأى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟

جلس الخليفة سليمان بن عبد الملك في حلقة عطاء بن أبي رباح مع عامة الناس ومعه اثنان من ولده ، فسمعوا إجاباته الشافية على أسئلة الخليفة مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مفصلة لا تدع سبيلاً لمستزيد ، ثم انصرفوا ، فإذا المنادي ينادي : ' لا يفتي الناس في هذا المقام إلا عطاء بن أبي رباح ، فإن لم يوجد فعبد الله بن أبي نجيح ، فقال الخليفة لـ ولديه : يا بني تعلموا العلم ، فبالعلم يشرف الوضيع ، وينبه الخامل ، ويعلو الأرقاء على مراتب الملوك.

ولقد نال عطاء بن أبي رباح هذه المنزلة بإحكامه السيطرة على وقته فقسمه أقساماً ثلاثة :

قسم جعله لسيدته .

وقسم جعله لربه .

وقسم جعله لطلب العلم .

فلما أعتقته سيدته جعل داره المسجد الحرام ، فصار فراشه نحواً من عشرين عاماً

الأمم المتحدة: ثقب الأوزون سيتعافى من الكيماويات بحلول منتصف القرن

قالت دراسة للأمم المتحدة يوم الخميس ١٦ سبتمبر أن طبقة الاوزون التي تحمي الأرض من الأشعة الضارة للشمس ستتعافى إلى حد كبير من الكيماويات الضارة بحلول منتصف القرن ، لكن الأمر سيأخذ وقتا أطول فوق المنطقتين القطبيتين المتجمدتين .

وجاء في الدراسة أن تآكل الاوزون سيستمر لعقود طويلة أخرى لأن العديد من المواد الأساسية الضارة تبقى في الجو لوقت طويل بعد انتهاء الانبعاثات. وقالت الدراسة التي أعدتها المنظمة العالمية للأرصاد الجوية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة : «على مدى العقد المنصرم لم يعد الأوزون بالعالم ، والأوزون بالمنطقتين القطبيتين الشمالية والجنوبية يتناقص لكنه من ناحية أخرى لم يزد.» وفي حين أن الكيماويات مثل مركبات الكلوروفلوروكربون الذي كان يستخدم في الثلاجات (البرادات) وأجهزة أخرى تم تقليل استخدامها تدريجيا فإن الطلب على البدائل مثل مركبات الهيدروفلوروكربون زاد. وكثير منها أيضا من الغازات المسببة للاحتباس الحراري. وعزا التقرير الذي وقعه ٣٠٠ عالم الفضل لبروتوكول مونتريال الذي وقعته نحو ٢٠٠ دولة عام ١٩٨٧ في وقف خسارة المزيد من الاوزون والمساعدة في تخفيف حدة أثر الغازات المسببة لظاهرة الاحتباس الحراري. وقال بيان: «لقد حمت طبقة الاوزون وهي الطبقة العليا في الغلاف الجوي من مستويات أعلى من الاستنفاد من خلال التقليل التدريجي لانتاج واستخدام المواد التي تستنفد الاوزون.» وأضاف «نتيجة الخفض التدريجي لاستخدام المواد التي تستنفد الاوزون بموجب بروتوكول مونتريال يتوقع أن تتعافى طبقة الاوزون خارج المنطقتين القطبيتين الى مستوياتها قبل عام ١٩٨٠ قبل منتصف القرن الحالي.» غير أن التقرير ذكر أن من المتوقع أن ثقب الاوزون الذي يتكون فوق القارة القطبية الجنوبية في موسم الربيع من كل عام سيعود إلى مستوياته القياسية قبل عام ١٩٨٠ «في أواخر القرن ٢١». وأضاف أنه يجري رصد مستويات عالية من الأشعة فوق البنفسجية في القارة القطبية الجنوبية حين يتسع ثقب الاوزون فوق القارة القطبية الجنوبية بموسم الربيع.